

بسم الله الرحمن الرحيم

## ملخص محاضرة

## مصطلح التنوير

## مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث

## " نظرة تقويمية "

لفضيلة الدكتور عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي الصباغ

أستاذ الملل والنحل والمذاهب المعاصرة بقسم الدراسات الإسلامية

بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

جدة في يوم الأربعاء ٧ محرم الحرام ١٤٢٦هـ

١٦ شباط ( فبراير ) ٢٠٠٥ م

وقد ابتدئها سيادته بالحديث عن مصطلح التنوير ، وأنه ترجمة للمصطلح الغربي الذي يذكر عادة تحت عنوان : حركة الأنوار ، أو فلسفة الأنوار ، أو عصر الأنوار ، أو فكر الأنوار .

ثم المح سيادته إلى أن حركة التنوير تشير إلى تلك الحركة التي بدأت في أوروبا في القرن الثامن عشر الميلادي ، وجاءت بعد المذهب الإنساني وحركة النهضة الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وقال إن هذه الحركة قد تميزت بفكرة التقدم وعدم الثقة بالتقاليد والتفاؤل والإيمان بالعقل ، وبال دعوة إلى التفكير الذاتي المستقل والحكم على أساس التجربة الشخصية ، ويقابلها نزعة التعمية ، وهي نزعة تتعارض مع نشر المعارف والأخذ بالمبادئ العقلية .

ثم تعرض سيادته بالتحليل للمقتضيات الأساسية لمفهوم فلسفة الأنوار فقال إنها فلسفة عقلانية متفائلة تريد الظهور علنا ، وتريد إنارة كل العقول وتخليصها من التزعة الظلامية ، ثم ذكر بإيجاز أهم معالمها عند الأوربيين والتي تتمثل في أمرين أساسيين هما :  
(١) الهجوم على الدين وعلى السلطات القائمة وتسفيهاها وذمها .

(٢) الإشادة بالعقل الطبيعي ، وشعارهم في ذلك أن أنوار العقل الطبيعي وحدها هي القادرة على قيادة بني الإنسان إلى كمال العلم والحكمة .  
 ثم وصف سيادته حركة التنوير بأنها حركة عقلانية ديكارتية معممة ، أي تمديداً واسعاً يغطي جميع الميادين لعقلانية بقيت محدودة وخجولة عند ديكارت نفسه .  
 كما وضح سيادته العلاقة بين حركة التنوير والدين فذكر أنها معادية للدين حيث إنها تؤكد قيمة العقل الطبيعي والأنوار الطبيعية وترفض كل وحي ، ترفض كل ما كان علم اللاهوت التقليدي ينسبه إلى العناية الإلهية ، وخلاصة القول أنها معادية للنصرانية .  
 ثم ذكر سيادته ورثة هذه الفلسفة والذين يمثلونها في الأزمان اللاحقة فقال :

- (١) الفلسفة الوضعية والوضعيين على اختلافهم .
- (٢) الاشتراكية والاشتراكيين على تنوعهم .
- (٣) التزعة الإنسانية من كل شكل ولون .

ثم انتقل سيادته إلى بيان مفهوم التنوير عند العرب والمسلمين ، ومن خلال ذلك بين معنى التنوير والنور في اللغة العربية والقرآن الكريم ، وعند الصوفية .  
 ثم بين معناه في الثقافة العربية الحديثة ، وأنه يعني الوعي بالحاجة إلى التقدم وإلى الإصلاح والتجديد واليقظة والنهضة .

ثم نبه على أن للتنوير معنى اصطلاحياً فلسفياً ، ويعني الاستخدام العام لعقل الإنسان في جميع القضايا ، وتبنى شعار " لا سلطان على العقل إلا للعقل " . وأشار إلى أن هذا المصطلح قد اكتنفه في العصر الحديث الكثير من الغموض والتعمية والكثير من الخلط والتلبس حتى أصبح من الكلمات الفضفاضة التي تُحشى بمعاني مختلفة كما أنه أصبح من الكلمات المحورية في الخطاب السياسي أو الفلسفي العربي ، الأمر الذي دعا إلى تحديد المعنى الحقيقي له وتمييزه عن غيره وتحديد اتجاهاته وألوانه حتى لا تختلط الأمور ولا تلتبس المفاهيم فذكر أنه بشكل عام يطلق على حركة التوعية والتثقيف والتحديث والتجديد التي حدثت في العالم الإسلامي منذ قرنين من الزمان واتسمت بتأثرها بالطريقة الغربية ، وبإعجابها بالغرب وعلومه وتقدمه الفكري والعلمي وبتيار النهضة والإحياء الذي عُرف فيه في القرون الأخيرة .

ثم بين سيادته أن رجال الإصلاح والتحديد من المسلمين يرون أن التنوير الغربي تنوير علماني يستبدل العقل بالدين وقيم قطيعة مع التراث وان التنوير الإسلامي تنوير إلهي لأن الله والقرآن والرسول ﷺ تصنع للمسلم تنويراً إسلامياً متميزاً برسم معالمه أعلام التجديد الإسلامي المعاصر ، كما يرون أن هناك فرق بين رجال التنوير الحقيقيين وبين التنويريين المضللين الذين تُدق لهم الطبول وأن التنويريين الغربيين الجدد يقومون بعملية خلط وتدليس وتليس أقل ما توصف به إنها غير دقيقة وغير آمنة وغير منهجية ، وذلك لأن كثيراً من الأسماء التي ينتحلونها ويحاولون تصويرها على أنها من رواد حركة التنوير بمفهوم العلماني الغربي للتنوير هي عند التحقيق والبحث الرصين بعيدة كل البعد عن مفهوم التنوير الغربي ومفرداته وأهدافه .

الأمر الذي يجعل بأنه لا بأس من استخدام مصطلح التنوير بمعناه العام الجمل المشترك مع تحديد المراد منه وتقييده بالأوصاف التي تبين نوعه وتحده حتى لا يترك لأولئك المفكرين والدعاة المغترين المتكبرين لعقيدة الإسلام وقيمته المقتفيه أثر حركة التنوير الغربية وخصائصها ونحتفظ بمصطلح التحديد والإصلاح لمفكري الإسلام في العالم الإسلامي الحديث .

ثم تعرض سيادته لبيان أنواع التنوير في العالم الإسلامي الحديث . وحاول تصنيفه إلى صنفين رئيسيين هما :

- الأول : وأسماه التنوير التغريبي العلماني .
  - الثاني : وأسماه التنوير الإسلامي التجديدي الأصيل .
- ثم قسم كل صنف إلى اتجاهين . فقسم التنوير التغريبي العلماني التحريفي إلى :
- التنوير التغريبي العقلاني الوضعي الراديكالي .
  - التنوير التغريبي العصري التحريفي .

فبين أن التنوير التغريبي العقلاني الوضعي الراديكالي يكاد يكون انعكاساً للتنوير الغربي في أوروبا في منطلقاته وأهدافه ومن حيث اتباع المنهج المادي التجريبي ، وما أدى استخدامه من إلحاد أو إنكار الوحي أو العلمانية الدنيوية أو الدعوة إلى تجاوز الإيمان بالغيبات ثم أشار إلى أن أكثر من اتبع هذا الاتجاه ودعا إليه في المرحلة الأولى أناس من

غير المسلمين ، وذكر منهم طائفة من المثقفين والصحفيين الموارنة ، كما أنه رأى إن بعض المسلمين يمكن أن يندرجوا ضمن هذا الإتجاه عن وعي وقصد أو عن غير وعي وقصد ، وذكر منهم بعض الشخصيات على سبيل المثال مثل الدكتور زكي نجيب محمود ، والدكتور فؤاد زكريا ، والدكتور جابر عصفور وغيرهم .

ثم بعد ذلك بين أن الإتجاه التغريبي العصراني التحريفي ، هو إتجاه نشأ في العالم الإسلامي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، يسعى إلى محاولة إيجاد مواءمة بين الإسلام وبين الفكر الغربي المعاصر ، عن طريق إعادة النظر في تعاليم الإسلام ونصوصه ، وتأويلها تأويلاً جديداً ينسجم مع المعارف والأوضاع العصرية السائدة ، وأوضح أن العصرانية لا تعني مجرد الإنتماء إلى العصر ، بل تعني وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة ، ولو أدى ذلك إلى تطويع مبادئ الدين وأحكامه لقيم الحضارة الغربية ومفاهيمها .

وأشار إلى أن رائد العصرانية في العالم الإسلامي هو سيد أحمد خان ١٢٣٢ - ١٣١٥ هـ - ١٨١٧ - ١٨٩٨ م ، الذي نادى بضرورة وجود تفسير جديد للإسلام تفسير تحرري وحديث وتقدمي ، وذكر أنه لم يكن أول ممثل للترعة العصرانية فحسب بل كان نموذجاً كاملاً لها .

ثم ذكر سيادته بأنه قد حدث اضطراب واختلاف كبيران في تصنيف بعض رواد هذا الاتجاه وتحديدهم توسيعاً أو تضيقاً .

وبعد ذلك أورد سيادته طائفة من ملامح هذا الاتجاه ، وأجزها فيما يلي :

- اعتبار القرآن الكريم وحده الأساس لفهم الإسلام وعدم الاعتماد على الأحاديث .
- الاعتماد في فهم القرآن الكريم على نص القرآن وحده وعلى المعارف والتجارب الذاتية في كل عصر .
- الاعتماد على مفهوم المحكم والمتشابه في القرآن الكريم لتفسيره تفسيراً عصرياً موافقاً لقوانين الطبيعة وتجارب الشعوب .

- أن المعاني المأخوذة من بيئة العرب ومعارفهم وظروفهم التاريخية معانٍ ثانوية وفرعية ليست مقصودة من تنزيل القرآن الكريم ، وأن ذكر القرآن الكريم لها لا يعني أنها حقائق مسلّمة .
  - لا يقبل من الأحاديث إلا ما يتفق مع نص القرآن وروحه وما يتفق مع العقل والتجربة البشرية وما لا يناقض حقائق التاريخ الثابتة .
  - الإجماع ليس مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي ، بما في ذلك إجماع الصحابة .
  - الدعوة إلى الاجتهاد في جميع المجالات وإطلاق العنان للعقل والتجربة والقوانين الاجتماعية والطبيعية في عملية تفسير القرآن الكريم واستنباط الأحكام ، ولو أدى ذلك إلى فوضى فكرية .
  - اعتبار التجديد الديني تطوراً واعتبار التطور الديني قمة التجديد الحق .
  - التطور يشمل الدين في جوانبه المختلفة : العقائد والعبادات والمعاملات .
- ثم نبه سيادته بأنه يندرج تحت هذا الاتجاه جميع محاولات التفسير الحديثة والمعاصرة ، وجميع محاولات التطوير والتغيير التي لا تلتزم بالمرجعية الإسلامية ابتداءً ولا تلتزم بذاتية الإسلام وتميزه .
- ثم تعرض سيادته لبيان التنوير الإسلامي التجديدي الأصيل فقسمه إلى :
- (١) التنوير الإسلامي التجديدي التحديثي .
  - (٢) التنوير الإسلامي التجديدي المحافظ .
- فبين أن الأول هو اتجاه تجديدي إسلامي يهدف إلى إحياء الإسلام نقياً صافياً من البدع والانحرافات والالتزام بأصول الدين ومصادره الأصلية وبخاصة القرآن الكريم والسنة الصحيحة الثابتة ، وأنه يعتبر التحديث مختلفاً عن التغريب ، ثم أشار إلى أنه بلا شك اتجاه تنويري إسلامي بالدرجة الأولى ، وأنه اتجاه تجديدي يسعى إلى تجديد الدين وإحيائه عقيدة وشريعة ومنهج حياة ، وأنه تحديثي يريد أن يعيش العصر الحديث في إطار أصوله الثابتة الراسخة .

والمح سيادته إلى أنه قد حدثت بعض الأخطاء والشطحات عند بعض ممثلي هذا الاتجاه حتى طمع في تصنيفهم بعض التنويريين التغريبيين في خانة التنوير الوضعي العلماني اللاديني ، ونزع إلى تصنيفهم بعض التنويريين المحافظين في خانة التنوير التغريبي التحريفي ، ثم ذكر من هؤلاء بعض الشخصيات على سبيل المثال .

ثم أورد بعض النقاط التي يمكن على أساسها وضع بعض هؤلاء ضمن هذا الاتجاه أو ذاك .

وبعد ذلك ذكر الاتجاه الثاني وهو التنوير الإسلامي التجديدي المحافظ ، فذكر أنه اتجاه إسلامي تنويري تجديدي بأكثر معاني التنوير الإسلامي حيطة وهدراً خشية الإنزلاق إلى نزعة تحريفية أو تطويقية تحت اسم التطور أو التحديث ، والمخ إلى أنه يمثل اتجاه التجديد بمعناه المأثور في الحديث النبوي الشريف ( إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ) .

ثم أجمال عناصر هذا التنوير على النحو التالي :

- السعي لإحياء الدين وبعثه وإعادة إلى ما كان عليه في عهد السلف الأول .
  - حفظ النصوص الأصلية صحيحة نقية حسب الضوابط والمعايير السليمة .
  - سلوك المناهج السليمة لفهم نصوص الدين وتلقي معانيها عن الأجيال والقرون الخيرة .
  - جعل أحكام الدين نافذة مهيمنة على أوجه الحياة المختلفة والمساواة لرأب الصدع في العمل بها وإعادة ما ينقض من عراها .
  - وضع الحلول الإسلامية لكل طارئ واستنباط الأحكام لكل حادث .
  - تمييز ما هو من الدين حقيقة وما يلتبس به ، وتنقيته من الانحرافات والبدع .
- ثم ذكر سيادته بعض العلماء الذين يمثلون هذا الاتجاه بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ثم أعقب ذكر ما سبق بالإجابة على سؤال إفترضه عن الفروق الدقيقة بين هذا الاتجاه التنويري التجديدي المحافظ والاتجاه السابق ، بأن هناك نقاط اشترك جوهرية

وبينوية الأمر الذي دعاه إلى جعلهما ضمن صنف واحد وهو التنوير الإسلامي التجديدي الأصيل .

ثم بعد ذلك بين أن نقاط الاختلاف يمكن رؤيتها فيما يلي :

- ١ . الاتجاه التجديدي المحافظ اتجاه إحيائي أكثر منه تحديثياً .
- ٢ . التركيز على قضية الإبتداع عند الاتجاه المحافظ والتشديد في محاربهه وتوسيع مفهوم البدعة أكثر مما نجده عند الاتجاه الآخر .
- ٣ . توسيع مجال عمل العقل في الاتجاه التحديثي أكثر مما نجده في الاتجاه المحافظ .
- ٤ . إعتبار المصالح والمقاصد في الاتجاه التجديدي التحديثي أكثر مما نجده في الاتجاه المحافظ .
- ٥ . إنفتاح الاتجاه التحديثي على تجارب الشعوب والمجتمعات الأخرى والتفاعل معها أكثر مما يلاحظ في هذا الاتجاه التجديدي المحافظ خشية الإنحراف والتقليد والتبديل .

ثم أعقب الكلام عن هذا الاتجاه بأن جعل هذا الاتجاه أحد اتجاهي التنوير الإسلامي التجديدي باعتبار المعنى اللغوي لمصطلح التنوير ، والمعنى الاصطلاحي الإسلامي لمصطلح التجديد ، ولا يجوز أن نعبأ هنا بما يمكن أن يُبْهت به هذا الاتجاه من أنه اتجاه ظلامي أو تيار رجعي تجهيلي .

ثم ختم حديثه بأن التنوير الإسلامي تنوير ديني عقلي ، أما التنوير التغريبي فهو تنوير عقلائي معاد للدين ، أو تنوير لاديني ، أو مرجعه إلى العقل أما التنوير الإسلامي فهو تنوير عقلي يعمل في إطار الدين ويهتدى بنوره ذلك أن العقل هو بمثابة العين الباصرة والوحي بمثابة النور أو الضوء ولا يستطيع أحد أن ينتفع بعينه إذا عاش في ظلمة ، كما لا يستطيع أن ينتفع بالنور إذا لم تكن له عين باصرة .